وقد استطاع المؤلف ان يكشف مميزات شعر ابي المحاسن ، ويبرز مضامينه الفكرية ، ويقف على أسرار فلسفته العميقة ، وعقيدته المثالية ، ونظرته النفاذة للحياة والكون والمرأة ٠٠٠

اما اسلوب الكتاب فهو اسلوب يتسم بالرصانة والعذوبة والوضوح ٠٠ ويتميز بسحر البيان ، وغنى الالفاظ ، وحسن العرض ٠

والكتاب زاخر بالتعليقات الطريفة والمعلومات الغزيرة ، والاحداث التاريخية الفريدة والوقائع المهمة التي كاد يطويها النسيان ٠

فنحن نهنىء المؤلف على كتابه القيم ، ونزجي له الحمد على ما بذل من مجهود ضخم ؟

في تحقيق التراث

البخلاء

تأليف : الخطيب البغدادي

تحقيق : احمد مطلوب واحمد ناجي القيسي

مطبعة العاني ـ بغداد ١٩٦٤

عرض ونقد : محمد جبار المعيبد

للبخل والبخلاء حديث قديم في تراثنا العربي ، احتل صفحات منه ، ثم صار الكتب فيما بعد ٠ ونتساءل : ما الذي دعى جمهرة كبيرة من أسلافنا القدماء الى الاهتمام بهذا الجانب من الموضوع فألفوا فيه الكتب كالاصمعي والمدائني وابي عبيدة والجاحظ ثم الخطيب البغدادي ؟ ٠٠

يجيب الدكتور الحاجري « بأن أحاديث البخل والبخلاء كانت تسير في طريقين وتتجه الى غايتين ، وفي احد الطريقين يقوم دعاة الشعوبية الحاقدون فيردون على العرب فخرهم التقليدي بالكرم ، ويقولون ان اكثر هذا الفخر كلام لا يفي به الفعل ونوع من التبجح لا حقيقة له في الواقع ٠٠ وفي الطريق الاخرى يقوم دعاة الدولة القائمة ، ومن وضعوا انفسهم في خدمة السلطان ومسايرته في سبيله من العلماء واهل الادب ٠ ومن هؤلاء من ينصر الدعوة العربية ويتعصب لها كالاصمعي ، ومنهم من هو أميل الى الشعوبية كالمدائني ٠٠٠ هذان هما الاتجاهان البارزان في الحديث

عن البخل واقحامه في باب الكتابة والتأليف .. »(١)

وقد وصلنا عن البخلاء كتابان ، أولهما (بخلاء الجاحظ) الذى عرف في أوائل هذا القرن وطبع عدة طبعات ، كانت طبعة الدكتور الحاجري أتقنها . وثانيهما كتابنا هذا ، وهو (بخلاء الخطيب البغدادي) الذى طبع لاول مرة في بغداد .

وكتاب الجاحظ يختلف عن كتاب البغدادى ، اذ أن الجاحظ نحا في كتابه نحوا أدبيا ، واعتنى ببراعة في وصف الانفعالات والحركات النفسية التي ترتسم على وجوه البخلاء وحركاتهم ، كما غذى كتابه بتصوير ممتع من السخرية منهم ، خالية في الوقت نفسه من روح الكراهية والهجاء .

أما منهج البغدادي ، فكان منهجا تاريخيا تسوده طريقة الرواية والسند . فهو اذا ما روى حادثة أو طريقة عن البخل والبخلاء أسندها بسلسلة من الرواة ، ولعله بهذا يريد أن يبرهن على علمية منهجه وصحة ما يرويه من أحاديث وروايات .

وقد قسم الكتاب الى ستة أجزاء ، يؤلف كل جزء منها أخبارا معينة . وقد خص الجزء الاول (ص ٢٣-٥٢) بذكر روايات عن الرسول (ص) وضربه الامثلة بالبخلاء ، وما ورد فيهم من أحاديث نبوية . ثم أعقبه بالجزء الثاني (ص ٥٥-٨٦) فذكر المأثور عن المتقدمين في ذم البخل والبخلاء وما ورد فيه من أشعار عند العرب . ثم يستمر البغدادي في منهجه فيخصص الاجزاء الباقية للحديث عن البخلاء في عصره أو عصر شيوخه ، فيروى النوادر والملح عن هؤلاء بأحاديث مسندة عن رواة ثقاة كالجوهرى والازهرى والتنوخي وغيرهم .

ومؤلف الكتاب هو ابو بكر احمد بن علي بن ثابت الشهير بالخطيب البغدادي ، ولد في غزية في الحجاز سنة ٣٩٢ هـ ، ونشأ في بغداد وسمع من شيوخ البصرة والكوفة والدينور . وقد تردد على طرابلس وصور وحلب والقدس بعد فتنة البساسيري في بغداد . وعاد الى عاصمة الخلافة سنة ٤٦٢هـ ، واقام بها الى ان توفى سنة ٤٦٣هـ .

وقد ترك وراءه ثروة عظيمة من الكتب في مختلف العلوم والفنون ، ولعل (تاريخ بغداد) اشهر كتبه التي خلدته وعرف بها فيما بعد ، وقد أوصل بعضهم كتبه الى ٨١ كتابا .

* * *

أما كتابه (البخلاء) فقد ذكر المحققون انه « محفوظ في المتحف البريطاني بلندن في ستة أجزاء صغيرة ضمت الى بعضها فكونت مجلدا واحدا ... وقد كتبت المخطوطة قبل سنة ٦٠٠ هـ بخط نسخ جميل جيد وقوبلت على الاصل ، ورقمها (OR. 3137) ... وفي معهد المخطوطات

بجامعة الدول العربية صورتان من هذه النسخة الفريدة برقم (٧٨) و (٧٩) ، وفي مكتبة جامعة القاهرة صورة أخرى لها برقم (٢٦٠٢٠) ، وعلى مصورة جامعة القاهرة ومصورتي جامعة الدول العربية اعتمدنا في اخراج هذا الكتاب ٠

« وذكر كارل بروكلمان نسختين منه في المتحف البريطاني ، الاولى برقم (1132) والثانية برقم (1592) ، وهما كما يبدو النسخة التي اعتمدنا عليها في اخراج البخلاء ٠٠ »(٢) ٠

من هذا العرض نفهم أن للكتاب ثلاث مخطوطات ، جميعها في المتحف البريطاني بلندن ، ولاحداها ثلاث مصورات في القاهرة ٠ أما المخطوطتان الاخريتان فلم يرجع المحققون اليهما ، ربما لعدم حصولهم على مصورتيهما ٠ ولكنهم تخلصوا — بالظن — بأن المخطوطتين هما على ما يبدو النسخة التي (اعتمدنا) عليها في اخراج الكتاب ٠ وهذا ليس من التحقيق العلمي بشيء ، كما أن الاعتماد على ثلاث مصورات لمخطوطة واحدة لا يعني الا أن المحققين أرادوا تغطية النقص بعدم اعتمادهم على بقية المخطوطات ، ولو انهم ذكروا وصفا لكل مصورة من المصورات الثلاث لوجدناها لا تختلف في شيء سوى الورق الذي صورت به ٠

ورواية الكتاب ، كما هو مذكور في أول كل جزء من الاجزاء الستة ، كانت عن أبي منصور محمد بن عبدالملك بن الحسن بن خيرون ، الذي توفي سنة (٥٣٩ هـ) وله خمس وثمانون سنة ، أي أن ولادته كانت سنة ٤٥٤ هـ ٠ ولما كانت وفاة الخطيب البغدادي سنة ٤٦٣ هـ ، معنى هذا أن ابن خيرون كان عمره تسع سنوات عند وفاة الخطيب ، مما يجعلنا لا نطمئن الى أن صبيا يروي كتابا عن الخطيب في مثل هذا العمر ٠ وهذه الناحية تحتاج الى تحقيق من المحققين ٠

والمخطوط الاصل امتلأت حواشيه بكتابات وتعليقات لا ندري مصدرها ، كما لم يذكر المحققون شيئا عنها ٠ ومكن الغريب أن هذه الحواشي تحولت الى نص الاصل ودخلت ضمن المخطوط عند طبع الكتاب ، ووضعت في أقواس أشير اليها في الهامش أنها تكملة ٠ ولم يكتفوا بهذا وانما ادخلوا أبياتا شعرية لبعض الشعراء بعذر انها تكمل المعنى ، ولو كان هذا حقا ، لوضع البيت في الهامش وأشير الى انه يكمل معنى الابيات في الاصل ٠ (انظر : ص ١٦٣ ، ١٦٢ ، ١٦٨ ٠٠٠)

وهذه بعض الملاحظات التي رأينا أن نجملها ، وهي :

١ — في ص ١٠٦ « قال أنشدنا أبو علي الكواكبي لابي الشمقمق » :

يا من يؤمل مبعدا   من بين أهل زمانه

والصحيح :

يا مـــن يؤمـــل معبـــدا . . . .

وهو (معبد) المغني ، (انظر : معجم الشعراء ٣١٩) .

٢ ـ في ص ١١٣ يروى بيتا لبشار بن برد ، وهو :

ولا تبخلا بخل ابن قرعـــة انـــه مخافة ان يرجـــى نداء حـــزين

والصحيح : ابن قزعة (بالزاى) ، وهو ابو يحيى عبيدالله بن قزعة ، انظر : ديوان بشار ص ٢٢٠ جمع السيد بدرالدين العلوي ، كما ينسب البيت ايضا لدعبل الخزاعي ، انظر : ديوانه ٣٥٥ صنعة الدكتور الاشتر .

٣ ـ في ص ١١٤ « قال انشدني جحظة البرمكي لنفسه ، وأنا حاضر :

لي صديق عدمتـــه من صـــديق أبدا يلقني بوجـــه صفيـــق
قوله ان شدوت : أحسنت ، عندي وبأحسنت لا يبـــاع الـــدقيق

والصحيح :

قوله ان شدوت : أحسنت ، زدني . . . .

لان الرواية الاولى لا تتلاءم والمعنى المراد في البيت ، وفي ارشـــاد الاريب ١/٣٨٤ الرواية الصحيحة للبيت .

٤ ـ في ص ١٣٢ ذكر بيتين لابي العتاهية ، وقد علق المحققون عليهمـا في الهامش بـ (لم نعثر عليهما في ديوانه المطبوع أو في الاغاني) ، والبيتان لبشار في ديوان المعاني ١/١٠٥ وغرر الخصائص ٢٥١ ـ بولاق ، ونهاية الارب ٣/٢١١ .

ومثله بيتان آخران لابي العتاهية في نفس الصفحة ، ذكروا انهم لم يعثروا عليهما في ديوانه أو في غير ديوانه ، والبيتان في ديوان المعـــاني ١/١٠٥ ، ونهاية الارب ٣/٢١١ . وقد ذكر الاصبهاني في اغانيـــه (١٥/٣٨ ـ ساسي) خبرا ينسب فيه هذه الابيات الى ربيعة الرقي .

٥ ـ في ص ١٤٨ يروي بيتا لجحظة البرمكي ، هو :

أكلت عصيبا عنـــده في مضـــيرة فيا لـــك من يـــوم علي عصيب

والصحيح : أكلت عصيدا ، .. (انظر : ارشاد الاريب ١/٣٩٣) .

٦ ـ في ص ٨٢ « قال : انشدني ابراهيم بن عمر بن حبيب » :

قوم اذا أكلـــوا اخفـــوا كلامهم واستوثقوا من رتاج الباب والدار
لا يرتجي الجار منهم فضل نائلهم ولا تكف يد عن حـــرمة الجـــار

وقد نسب المحققون البيتين في الهامش الى دعبل الخزاعي ، والصحيح أن البيتين ينسبان الى عدد من الشعراء ، فهما للاخطل في شرح شواهد المغني ٤٦ـ٤٧ ، ولجرير في العقد الفريد ١٨٧/٦ والغرر والعرر ٣٠٠ ، ولداود بن محمد المهلبي في طبقات الشعراء ٢٨٨ـ٢٨٩ ، بالاضافة الى نسبتهما الى دعبل ٠

والكتاب بعد هذا كله قطعة أدبية جديدة تضاف الى مجموع تراثنا العربي الذي يحتاج الى جهود المخلصين لازالة غبار القرون عنه ٠ ولا أظن هذه الملاحظات ستقلل من قيمة وأهمية هذا الكتاب ، الذي جهد المحققون الاجلاء في اخراجه وتبويبه وصنع فهارسه التي جاءت متقنة وتامة ٠

